

الحديث هو كل ما حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، إذ كانوا يقتدون به في أقوالهم وأفعالهم عملا بقوله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ويقول الجاحظ : « كانوا يكرهون أن يقولوا سنة أبي بكر وعمر ، وفي ابن سعد عن صالح بن كيسان قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فكنا نكتب السنن ، قال : وكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة ، قال : قلت إنه ليس سنة ، قال : فكتب ولم أكتب ، فالقرآن مثلا لم يذكر تفاصيل الصلاة والزكاة وهما من أهم أركان الإسلام ، بل أكتفى بممثل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وفصل الحديث أوقات الصلاة وكيفياتها كما فصل القواعد والأسس التي يجب اتباعها في جمع الزكاة وتوزيعها . وهذا أمران من مئات الأوامر التي تناولتها أفعال الرسول وأقواله . وبذلك كان مكملا للقرآن ، وبأن يكون عمادة السنة فلا يجدوا منها كما مخرجاً وكان الصحابة يروون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وكان فعن ابن عباس قال : قال رسول الله : « اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يررون أحاديثي ويزعمونها الناس (١) . وكان كثيراً ما يقول للوفود : احفظوا أحاديثي واحببوا بها من وراءكم من العشائر ، وتنظر في خطبة حجة الوداع المشهورة : (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) . وكان يُرسل في القبائل رسلاً ليعلموهم القرآن وسننته . ومر بنا أنه لما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن سأله : بم تقضي ؟ فقال : بكتاب الله ، فقال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسوله . حتى يقفوا على أوامر الدين ونواهيه وما أخذهم به من آداب ونظم . واشتهر من بينهم جماعة بكثرة ما روى عنهم في هذا الباب مثل أبي هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وابن عباس وأنس بن مالك ، وكثير غيرهم . حتى إذا ذهب الصحابة خلفهم التابعون يحكون ما سمعوه منهم . وبذلك أخذ الحديث ينتقل من جيل إلى جيل، وبذلك تعددت طرق روایة الحديث ، وأصبح يحتوى متناً وسندًا يطول ويقصر . الروایة والنقل الشفوي ، وهي في اللغة العادة ويراد بها تقاليد الأسلاف الأولين وقد حولها المسلمين إلى التقاليد التي حكيت عن الرسول وصحابه . ومما لا ريب فيه أن بعض أحاديث الرسول دون في حياته، وخاصة تلك التي تتصل بالزكاة حين كان يكتب إلى بعض الأقوام يبين لهم فرائض دينهم ، على نحو ما نجد ذلك في بعض كتبه المأثورة (١) . فقد أذن لرجل من الأنصار شكا إليه سوء حفظه لما يسمع منه أن يستعين على حفظه بيدينه (٢) ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب ما يسمع من حديث فأذن له (٤) ، وفي بعض الأحاديث أن الرسول أمر أصحابه أن يكتبوا لرجل يمني خطبة سمعها منه، تضمنت بعض الأحكام الدينية (٦) . على أنه ينبغي أن لا يبالغ في تصور ما كان من هذه الكتابة لحديث الرسول في حياته ،